الفرائد الحسان لأئمة التراويح في شهر رمضان

الأيام تتسارع لاستقبال شهر رمضان المعظم ، والجهود تتضاعف لتأدية الأعمال الرمضانية على أكمل وجه وأحسن صورة ، وأئمة التراويح لهم قدم السبق في التجهيزات الرمضانية ، حيث تتعلق تجهيزاتهم من ناحية مراجعة القرآن الكريم والحفاظ على جودة الصوت ، من آداء وحفظ وترتيل وضبط نفس وإتقان حرف.

فإني رأيت من المهم تزويد أحبتي القراء بمعلومات أرجوا أن تكون مفيدة لهم ، مرشدة لهم لسبل الصواب والإحسان ، فهي درر قطفتها من بستان مشايخي الأجلاء ، وأساتذتي الفضلاء ، ممن كان لهم قدم السبق في تزويدي بما أقول ، وتنويري بما أنصح به وأُحفّز ، فهم الشأو الأكبر في تعليمي لهذه الدرر ، فكان لزاماً على عبد فقير مثلي إفادة أهل هذا الفن ، ورواد هذا الاختصاص ، فعساني أن أكون نافعاً لأهل القرآن فيما سأقول :

فأول المهمات التي ينبغي على القارئ الاهتمام بها أولاً بأول هي مراجعة القرآن الكريم ، فهي الكنز الأكبر للقارئ ، وعليها يتكئ في خوضه رحاب التلاوات والآداء ، فمتى ما كانت المراجعة قوية ، كان الآداء أيسر للقبول ، وأكثر وقعاً في النفوس.

ومن الطرق المفيدة في مراجعة القرآن الكريم ، مراجعة ثلاثة اجزاء يومياً كأقل تقدير بطريقة الحدر ، بحيث يختم المراجعة في عشرة أيام ، ويكون قبل رمضان قد ختم عدة ختمات ، تكون مفيدة جداً لإمام التراويح ، فمن القراء من يختم مراجعةً كل شهر ختمة ، ومتهم من يختم كل شهر ختمتين ، ومنهم من يختم كل أسبوع ختمة ، ومنهم من يختم كل ثلاث ليالٍ ختمة ، وكلُ ذلك فضل من الله وتوفيق منه سبحانه.

ومن الطرق المفيدة لأئمة التراويح ، تصحيح التلاوة على المقرئين ممن لهم قدم السبق في ضبط الآداء وإتقانه ،فهذا مما يساعد أن يكون الإمام صاحب مخارج جيدة ، وأحرفٍ مسموعة عند المأمومين ، بحيث ذلك يجعل القارئ قادراً على القراءة بطريقة صحيحة ، يفهم منه المأموم ما يقرأه عليهم ،فذلك هو الصواب ، وهو الأفضل لمن تيسر له ذلك.

يقول الإمام ابن المنادى رحمه الله :(ألا وإن للحفظ أسبابا ، منها أن يقرأ الإنسان على من هو أحفظ منه ، لأن الذي يُقرئ أنفذ في التبصرة بخطأ المقترئ من المقترئ بخطأ نفسه .(

ومن الطرق المفيدة للحفاظ على مستوى الصوت وآداء الحنجرة ، الابتعاد قدر المستطاع عن المشروبات المثلجة ، والإكثار من المشروبات الدافئة ، كالزنجبيل بالليمون ، وأعشاب البابونج مع اليانسون مع الليمون والعسل ، ومعلقة عسل على الريق ، وسكر النبات ، وغير ذلك الكثير.

ومن الطرق المفيدة من حيث الصوت ، الاستماع للقراء المبدعين المتقنين ، ممن اشتهروا بجمالية الصوت وضبط الآداء النغمي ، فهم على الساحة بكثرة لا يحصيهم العدد ، كصوت الشيخ محمد صديق المنشاوي ، الشيخ مصطفى إسماعيل ، والشيخ محمود خليل الحصري ، والشيخ محمد عمران ، والشيخ عزت العناني ، والشيخ محمود عبدالحكم ، وغيرهم كثير ، فالاستماع لأمثال هؤلاء القراء مما يضفي الحسن في الآداء واستقرار الصوت مع التمارين على ذلك.

ومن أجمل الطرق للحفاظ على جودة الصوت ، وعلى جماليته ، وعلى رونقه وروعته ; الإكثار من ذكر الله سبحانه وتعالى ، وإخلاص القراءة لوجه الله لا لأجل الدنيا ، والإكثار من الصلاة والسلام على سيدنا محمد عليه صلوات المصلين تترى ، فإنه ما أكثر أحد من الصلاة عليه إلا والراحة تسكن قلبه ، ويتشبع فؤاده بالسعادة ، وتزيد صلابة صوته وآدائه.

فإني سمعت ذلك عن مجموعة ممن حباهم الله الصوت الجميل والآداء القويم ، وعلى رأسهم استاذي الشيخ محمد الهلباوي رحمه الله ، فحدثني بذلك مراراً وتكراراً ، أن من أسباب جمالية صوته وأعجوبة آدائه حتى وصل للعقد السادس من العمر كان قبل أي محفل أو مأتم أو صلاة يؤديها يجلس ويذكر الله ثم يكثر من الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صل الله عليه وسلم ، ثم يذهب لآداء مايريد ، ويجد الفتح الوهاب يتقطر على صوته وآدائه ، ومثل ذلك كثير والله ذو الفضل العظيم.

ومن العوامل المساعدة للحفاظ على الصوت ، تناول ملعقة من العسل بشكل يومي ، والحبة السوداء ، والزنجبيل ، وعصير العنب والرمان ، وأعشاب البابونج واليانسون والزهورات والقهوة السوداء ، فقد كان الشيخ محمد عمران رحمه الله لا يقرأ في أي مكان إلا بعد شرب فنجان من القهوة السوداء ، ولست أدري سر تعلقه بالقهود أثناء القراءة ، والسباحة تساعد في تصفية الحنجرة من الشوائب والبلغم ، وكل ما يسبب إشكالات للصوت ، وتوسيع الرئتين والحبال الصوتية والاشتداد من قوة صلابتها ، وكذلك الجري والمشي الكثير يزيد الصوت جمالاً وبهاءً ويساعد في تطويل النفس.

ومن الأمور المساعدة للحفاظ على جودة الصوت ، عدم رفع الصوت أكثر من الحد المطلوب ، إذ أن ذلك يضيق الحبال الصوتية ويضعف آدائها ، والنوم المريح قبل آداء أي نشاط صوتي يضفي على الصوت جمالاً ورخامة ، ويكون الآداء براحة نفسية وهدوء بال ، بخلاف السهر ، فإنه مؤذي للصوت وللحالة النفسية قبل الآداء.

أما من الناحية النغمية ، فمن أجمل المقامات للتلاوات الحدرية هو مقام البيات فهو مريح للنفس ، جابر لخواطر المستمعين ، سلس ولذيذ في الآداء والإتزان الصوتي ، مساعد كبير في القراءة بقدر كبير من الوقت والجهد ، غير ممل ولا هو بالثقيل ، محبوب عند الكثير إذ أنّ البيئة العربية للأرض بطبيعة أحوالها رخوة منبسطة يسهل السير فيها من أكثر إتجاهاتها ، فكذلك هو مقام البيات روحه الفرح والسرور وشرح الصدور ، بخلاف البيئة الجبلية فتكون أحوالها الشدة والقسوة والسير فيها يحتاج لمجاهدة وتعب فذلك لا يتناسب مع البياتي.

ومن المقامات المريحة للصوت مقام الكرد إذ هو ذو خجل وهدوء ،وإحساس ليل وركود ، هادئ في محتوياته ، خفيف على الحبال الصوتية ، سهلٌ استخدامه ، لذيذٌ سماعه ، لا يمل منه المستمع ولا يفتر منه القارئ.

وكذلك من المقامات المتميزة مقام الرست ، وهو مقام الخيال والعبرة ، مساحاته شاسعة ، عريقة أرضه ، منبسطة جميلة ، هو كالراحلة يأخذ بالمستمع إلى حيث الجمال والدلال ، سلس في مقوماته ، محبوب عند أهل القصص والمشاهدات ، وبطبيعة اختلاف الطبقات والألوان والأذواق.

ما سبق ذكره لا ينطبق على الكل ، وإنما هو بحال العموم ، فالاستثناءات كثيرة ، ولكل إنسان هواءٌ يناسب مزاجه ، وشراب يروي ظمأه.

وهنا أتوقف ، عساني أكون قد استطعت توضيح بعض المبهمات ، وتسهيل بعض الطرق لتأدية المهمات ، فإني لأهل القرآن خادم ولأمرهم قائم ، فالله عوني وحسبي ، وعليه اعتمادي في كل أمري.

عبدالعظيم عبدالله محمد هوساوي